25 me Année No. 568

Lundi - 22 - 5 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٦٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٢ مايو سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٤٢١ دفاع عن البلاغة ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...

٤٢٣ قيس ولبنى ... ... : تأليف الأستاذ عزيز أباظة بك بقلم الأستاذ درينى خشبة ...

٤٢٥ لماذا لا تكون سعيداً ؟ : الأستاذ عبد العزيز جادو . .

٤٢٦ فى دنيا الأحلام ... .. : الأستاذ توفيق حسن الشرتونى

٤٢٩ الألغاز فى الأدب العربى ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ...

٤٣١ القضايا الكبرى فى الاسلام : قتل حجر بن عدى .. ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

٤٣٤ من الشعر الجديد ... . . : الأستاذ محمد محمد رضوان . .

٤٣٦ نقل الأديب .. .. : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

٤٣٧ من خريف الربيع [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل

٤٣٨ الشعر الجديد ... . : الأستاذ الكبير (ا . ع)

٤٣٩ جائزة أدبية ... ... : الأستاذ حبيب الزحلاوى ...

٤٣٩ حول مزايا الخط العربى . . : الأستاذ محمود عزت عرفة ...

٤٤٠ شعر ناجى . . .. : الأستاذ (د خ) ... ...

١٨ ـ دفاع عن البلاغة

١٠ — التلاؤم فى الأسلوب

أثبتنا بحجة العقل ودليل الوجدان أن التأنق فى الأسلوب أصل فى طباع الناس ، وسر فى كيان اللغة ، وركن من أساس البلاغة ؛ وأن الجمال اللفظى المطبوع مُنْشِئُ كل لسان ينطق ، وبغية كل أذن تعى ؛ فالناس خاصتهم وعامتهم يحبون أن يسمعوه ، والكتّاب قادتهم وساقتهم يتمنون أن يستطيعوه . وإذا كان فى حَمَلة القلم من يقدح فيه وينفّر منه كان ذلك من باب الكذب على النفس مردُّه إلى أسباب يعرف بعضها ذلك الثعلب الفاضل الذى

رام عنقوداً فلمـــا أبصر العنقودَ طالَه

قال : هذا حامضٌ لما رأى أن لا ينالَه !

فلندع ذلك الآن ولنسدد القول إلى الغرض المقصود من التلاؤم . فما التلاؤم فى حقيقة معناه وطبيعة مداه ؟ التلاؤم كلمة جامعة لكل وصف لا بد منه فى اللفظ ليكون الكلام خفيفاً على اللسان ، مقبولاً فى الأذن ، موافقاً لحركات النفس ، مطابقاً لطبيعة الفكرة أو الصورة أو العاطفة التى يعبر عنها الكاتب أو الشاعر

فالتلاؤم من حيث القبول فى الآذان والخفة على اللسان ، يكون فى الكلمة بائتلاف الحروف وتوافق الأصوات وحلاوة

الجرْس . ويكون فى الكلام بتناسق النظم وتناسب الفِقر وحسن الإيقاع . ومن هنا تنشأ السلاسة والعذوبة والطلاوة والرخامة ، وانسجام التراكيب ، ومتانة الحبك ، وكل صفة تنفى عن الكلام التنافر والنبوّ والقلق والتعسف والتعقيد والهلهلة والركاكة والنثاثة والحوشية والجفوة . ومدار ذلك على الذوق الفنى السليم ، والأذن الموسيقية المرهفة . ففى هاتين الحاستين وضع البارئ المصور البديع — جلّ وعلا — سر الفن كله . وبهاتين الحاستين هذبت الدهور اللغة ، وصقلت العبارة ، وتنخلت الألفاظ والتراكيب ، فتخيرت منها للأساليب الرفيعة لغة خاصة يعبرون عنها فى تاريخ الأدب بالألفاظ الكتابية والتراكيب الشعرية

وإلى هاتين الحاستين يُعزى التفاضل بين كاتب وكاتب ، والتفاوت بين شاعر وشاعر ، والتباين بين ناقد وناقد ؛ وإليهما كذلك يرجع تقديم كلمة على كلمة ، واختيار لفظة دون لفظة ، وقصور الكلام عن مداه ، أو بلوغه [illegible] سواء أكان هذا البلوغ أو ذلك القصور من جهة تأثير [illegible] الشاعر ، أم كان من جهة تأثر القارئ أو السامع

وعلى هاتين الحاستين يجرى [illegible] الحبات العقد ، مؤتلفاً كنغمات اللحن [illegible] ، معسولاً كماء السيق ، موزوناً كأنه [illegible] نقائص الطبع الموهوب لا حيلة فيها لمحتال ، ولا [illegible] ومفاوت الفضل كما قال ابن الأثير « يقع فى [illegible] أكثر مما يقع فى مفرداتها ؛ لأن التركيب أعسر من الشعر »

وتمييز اللفظ الحسن من اللفظ القبيح يحصل بأدنى كلفة ، لأن المرجع فى ذلك إلى الحاكم المطلق وهو السمع ، فما استخفه كان حسناً ، وما استثقله كان قبيحاً . « وحسن الألفاظ وقبحها ليس إضافياً إلى زيد دون عمرو ، وإلى عمرو دون زيد ، لأنه وصف ذوى لا يتغير بالإضافة »[1] فالقَراح والقُراح وصفان مترادفان للماء ولكن حسن الأول وقبح الثانى لا يختلف فيهما أحد

* * *

وأما التلاؤم من حيث موافقة الكلام لحركات النفس ، ومطابقته لصور الذهن ، فيكون بتقطيعه فِقَراً وفواصل تقصر أو تطول تبعاً لحالات النفس والفكر . فلكل عاطفة درجتها من الإبطاء أو الإسراع ، ولكل فكرة مداها من الضيق أو الاتساع ، ولكل صورة طبيعتها من الظهور أو الضمور ، ومن القوة أو الضعف . قد تكون أشعة الإلهام كومضات البرق تتعاقب على الذهن بسرعة ؛ وقد تكون عواطف النفس فائرة تجيش بالألم أو تضطرم باللذة ؛ وحينئذ تكون الفِقر القصيرة أنسب الصور للتعبير عنها ؛ كما ترى فى السور المكية من كتاب الله ؛ فإنها لاشتمالها على أصول الدين تتصل بالعاطفة ، فجاء لذلك أسلوبها قصير الآى كثير السجع رائع التشبيه قوى المجاز . وقد تكون المعانى رزينة بطيئة موضوعها لتوخيها الإفادة أو الإقناع أو الشرح ، فتقتضى الأسلوب المرسل أو المفصل ، كما ترى فى السور المدنية من القرآن الكريم ؛ فإنها لاشتمالها على أصول الأحكام تتجه إلى العقل ، فنزل أسلوبها هادىء البيان طويل الجمل مفصل الآيات واضح الغرض . أما إذا كانت الفكرة متشاجنة الأصول متشابكة الفروع فالأبلغ أن تفصَّل بالاستدارة . والاستدارة (La période) صورة من صور التعبير فى اللغات العليا ، تحدث عنها أرسطاطاليس وترجمها مترجموه إلى العربية بهذا الاسم ، ولكن البيانيين من علمائنا لم يحفلوا بهذا النوع ولم ينبهوا إليه فى أساليب العربية على كثرة وروده فى النثر والنظم ، حتى وقع عليه بعض المتأخرين فسموه (القول بالنظم) أو (حسن النسق)[1] . والاستدارة جملة متوسطة الطول تشتمل على فاتحة وخاتمة ، وتتألف من فواصل ترتبط بإحكام ، وتتساوق فى انتظام ، وتحمل كل فاصلة من فواصل الفاتحة جزءاً من المعنى بحيث لا يتم المراد إلا بذكر الجملة الأخيرة وهى الخاتمة

مثالها من الشعر قول النابغة :

فما الفرات إذا هب الرياح له ترمى غواربُه العِبْرين بالزَّبد
يمده كل وادٍ مترع لجب فيه ركام من الينبوب والخضد
يظل من خوفه الملاح معتصماً بالخيزرانة بعد الأين والنَّجد
يوماً بأجود منه سيبَ نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد

ومثالها من النثر قول الجاحظ : « فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ، وكان منزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف ، صنع فى القلب صنيع الغيث فى التربة الكريمة » ، والاستدارة كثيرة الدوران فى طريقة ابن المقفع وطريقة الجاحظ

(للكلام بقية)

أحمد حسن الزيات

(١) المثل السائر ٧٥

(١) قال ابن حجة فى خزانة الأدب : « حسن النسق ويسمى التنسيق نوع من محاسن الكلام وهو أن يأتى المتكلم بالكلمات من النثر أو الأبيات من الشعر متواليات أو متلاحمات تلاحماً سلسا مستحسناً ، وتكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية إذا أفرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه »

٢ ـ قيس ولبـــنى

المشاعر المجدد الاستاذ عزيز أباظة بك

للأســـتاذ دريني خشبة

وضعنا بين أيدى القراء ـ وذلك فى العدد السابق من الرسالة ـ خلاصة مضغوطة لقصة هـذا الهوى اللافح ، والحب الرمض المبض ، الذى ملأ حياتي قيس ولبنى بمأساة من أروع مآسى الأدب العربى القديم ، أو الأدب العربى فى صدر الإسلام ، وذلك وَفْقَ ما أثبت القصةَ أبو الفرج فى أغانيه ، ثم أردفنا الخلاصة بموجز جاف لمسرحية الشاعر المجدد عزيز أباظة بك ، رجاء أن نشرك معنا القراء فى استعراض القصتين ، والموازنة بينهما ، وإدراك ذلك الجهد الشاق الموفق الذى بذله الشاعر المصرى البارع في استغلال قصة الأغانى والتصرف فيها ، دون تقيد برواية ، ودون تقديس لتاريخ ، فالأغراض الأدبية ، ولا سيما إن كان المسرح هو طريق إبرازها ، لا يلزم أن تتقيد بما ورد فى سجلات الماضى ، حتى وإن كان ما ورد فى تلك السجلات هو الحق الذى لا يأتيه الباطل من أى نواحيه . . . ولا داعى لأن نضرب مثلاً بالطريقة التى تناولت بها مأساة مثل مأساة كليوبطرة على أيدى شيكسبير وشوق مثلا . . . وقد كان شيكسبير نفسه لا يحفل كثيراً بدقائق التاريخ وحقائقه ، بل كان يضحى كل شىء فى سبيل الهدف الذى كان يضع من أجله دراماته ، مع أنه كان يغترف الحوار أحياناً من سجلات هذا التاريخ

١ — فلقد استغنى الأستاذ عن شخصيتى الحسن والحسين ، واكتفى بأن يكون ابن أبى عتيق رسول الحسين إلى الحباب أبى لبنى ، وللشاعر رأيه فى هذا الاستغناء ... والكلام عن ذلك لا بد أن يكون كلاماً شائكا ، لأنه يتناول مسئلة إبراز الأشخاص الذين نحيطهم بهالات مقدسة على المسرح . . . وقد كان الشاعر لبقاً فى وسيلة هـذا الاستغناء ، إذ جعل سببه اشتغال الحسين بموضوع تلك البيعة التى فرضها معاوية على المسلمين لابنه يزيد ، ولم يجعل سببها إكبار الحسن أو الحسين عن المشاركة فى هـذه القضية الغرامية . . . التى كانا فيها رسولى رحمة وحنان وعطف بين قلبين ، وبين أسرتين كريمتين من أسر المدينة والبطون القريبة منها فى سَرَف

٢ — واستغنى الشاعر أيضاً عن قصة بزوغ هـذا الحب بين قيس ولبنى ، كما استغنى عن مرات اللقاء المختلسة الأولى ، التى تذكى الحب عادة وتؤكده ، والتى تصور ما كان يتجشمه المحبون فى سبيل هـذا اللقاء فى البيئة العربية القديمة من أخطار وما كانوا يستهدفون له من هول وروع

٣ — واستغنى كذلك عن هذا المشهد المؤثر الذى توسل به ذريح للتأثير على قلب قيس الغَض كى يطلق لبنى . . . مشهد قيامه فى الظهيرة عارى الرأس والشمس تصب لهبها على يافوخه ، ومجىء قيس ليظلل أباه حتى يفىء الفىء ...

٤ — ومنظر وداع لبنى فى قصة أبى الفرج ! هـذا المنظر الذى لا يكاد أن يضارعه مثيل فى أدب أمة من الأمم ! اسمع إلى الأصفهانى حيث يقول : « فوقف ينظر إليها ويبكى حتى غابوا . فكر راجعاً ونظر إلى خف بعيرها ، فأكب عليه يقبله . ورجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدمها ! فلما جن الليل ، وانفرد ، وأوى إلى مضجعه لم يأخذه القرار ، وجعل يتململ فيه تململ السليم ، ثم وثب حتى أتى موضع خبائها ، فجعل يتمرغ فيه ويبكى ... !! »

ولست أدرى لماذا لم يسجل شاعرنا الكبير هذا المشهد الرائع فى نهاية الفصل الثالث ؟ لعلنا نوفق إلى كشف السر فى المقال الباكى الذى سوف يتلو هذا الفصل

٥ — ولم يشأ الشاعر لمسرحيته أن تنتهى إلى مأساة ، ولذلك لم يأخذ فى ختامها بأقوال الجمهرة من الرواة الذين قرروا أن قيساً ولبنى لم يجتمعا بعد الطلاق ، وأنهما ماتا على هذا الفراق المر . والبعد الوبيل ، وأخذ بأقوال القلة التى لا يؤبه لها من الرواة الذين زعموا سعي ابن أبى عتيق والحسن والحسين ، أو ابن أبى عتيق وجاه الحسن والحسين لتطليق لبنى من كثير ، وردها على قيس . وهكذا آثر النهاية السعيدة التى تجبر ما انشعب من تلك القلوب الكسيرة وترد الأمنة إلى عيون المؤرقين ، على النهاية الباكية القاسية التى تفرق بينهم أبد الدهر. وللشاعر مطلق الحق فى أن يتصرف هـذا التصرف ، وسنترك تعليل اختياره هذا إلى الفصل الباكى الذى سوف يتلو هذا

الفصل كما ذكرنا من قبل ، والذى سوف نطالع فيه القراء على الأهوال النفسية التى يضطرب بها فؤاد شاعرنا العزيز فتؤزّه أزّا ... هذا الفؤاد الذى أصبح فى ذاته ملحمة حزينة آسية ، مشرقة بالدمع ، من أروع ملاحم شعرنا الحديث ... ملحمة تحترب فيها الذكريات وتتضرم بالآلام والأوجاع

ولو قد أراد الشاعر أن تكون مسرحيته مأساة ، لأحببنا له أن يخلق من ضعف القصة الأصبهانية قوة ، وأن يثور فيها على التاريخ وعلى الرواة ثورة كاملة شاملة ... فقد أحب قيس لبنى ، وبادلته لبنى هـذا الحب الجارف الذى خالط قلبيهما وامتزج بدمائهما ، وربط بينهما الرباط المقدس الذى لا يعقل أن ينفصم على هذا النحو الزرى المضحك ، لأن ذريحا أراد له أن ينفصم ، ولأن ذريحا وزوجه أصرا على أن ينفصم ، بحجة أن قيساً قد آثر عليهما زوجه أولاً ، ولأن لبنى أنثى عقيم ثانياً ... فيظل قيس يخالف من أمرهما عاماً بأكمله ، إبقاء على زوجه التى لا يد لها فى هذا العقم ، ثم ينهزم هذا النبل كله فجأة ، وينهزم هذا الحب العارم الصارم كله فجأة ، وتنحل الأواصر المقدسة فجأة ، فيرسل قيس زوجه وحبيبة قلبه ومنية نفسه إرسالاً سهلاً هيناً ليناً ، لأنه لم يعد يحتمل أن يعذب أبوه المأفون نفسه ، ولم يعد يحتمل أن يرى تلك النار المشبوبة فى دار المجانين الذين يظلون عاماً طويلاً وأكثر من عام طويل يشاكسون زوجين سعيدين حبيبين ، وينغصون عليهما صفو الحياة ... لوددنا إذن لو أن شاعرنا قد ثار على التـــاريخ وعلى الرواة وعلى أبى الفرج ثورة كاملة شاملة ، فرفض قصة هذا الفراق وذاك الطلاق الذى أضحك الدنيا بأسرها على سذاجة قيس لبنى ، وأشبت به قيس ليلى ، وعرضه لزراية المحبين وازدرائهم فى عالم الإخلاص والوفاء

٦ — ولكن ماذا عسى أن تكون ماجريات الحوادث لو ثار الشاعر هذه الثورة ؟ هنا يترك الأمر كله للعبقرية التى يرهن الشاعر الكبير على أنه يدخر منها الشىء الكثير

٧ — ثم طلاق كثير لبنى ... هذا الطلاق الذى تم فى جلسة واحدة ما عطبه ؟ أبهذه السهولة يتم الطلاق فى البيئة العربية المحافظة الصارمة ؟ ومتى طُلب إلى عربى ، بَلْه المسلم ، أن يُعطى حرية التصرف فى أحد من أهله ... ولا سيما إن كانت الزوجة هى الغرض من إعطاء تلك الحرية ؟ ثم كيف تم تلك الخدعة التى لا يجيزها عرف ولا دين فى حضرة الحسن والحسين ، سِبْطىْ رسول الله ، وسيدىْ شباب أهل الجنة ؟ وإن فوجئا بها مفاجأة ؟ !

ولكن هذه هى الرواية التى أثبتها أبو الفرج ، وأبو الفرج راوية ماهر يستعين على أذهاننا بإثارة مشاعرنا ، فلا يدعنا مستطيعين أن نسأل ما خطب كذا وما خطب كذا ... ولكنه يتركنا نتألم فى غير استنكار لهذه القلوب الرطبة التى أنهكها الحب ، وأنهكتها الرحمة للمحبين ... الرحمة التى لا تدع لسائل أن يسأل ، ولا لمستدرك أن يستدرك

* * *

وبعد ، فقد كانت قيس ولبنى نجاحاً كاملاً على مسرح الفرقة المصرية ، وقد تلفّت الشعب فجأة فوجد آذانه تتلىْ ببيان عربى فصيح ، وشعر بدوى فيه جزالة وفيه فخامة وروعة ، وفيه موسيقا تُلين عاصيه ، وتتدفق به فى القلوب مُيَسَّراً مفهوماً ... بل محفوظاً فى كثير من رقائقه ، مُحَبَّباً فى كثير من قوافيه ، مدهشاً فى كثير من كلماته التى تخيّرها ذَوْق دقيق كأنه ذوق لآل ، أُغرم بالعربية الفصحى فوهبه الله سرها ، يجلو من غُرَرِها ودُرَرِها ما يشاء ...

لقد كانت قيس ولبنى ، برغم ما حاك فى القلب من قصة أبى الفرج ، قطعة من الحياة يختلط فيها جد الواقع بروعة الشعر ، وتدفق الحوار بهدوء النجوى ، وحرارة الحب بصلابة الواجب !

لقد كان فرحنا بها لا يعد له فرحنا بأية طرفة أدبية صدرت عن المطبعة المصرية هذا العام ... وكيف لا نفرح بها وقد صدرت بعد الدعوة الطويلة التى دعت إليها الرسالة ، من وجوب عناية الشعراء بالدرامة المنظومة التى آن الأوان لكى تسد فراغاً مخيفاً فى الأدب العربى ... وليس معنى هذا ، قبل أن يعقب علينا معقب ، أو أن يسىء تأويل كلا منا مسىء ... أن قيساً ولبنى كانت ثمرة لهذه الدعوة ، ولكنها كانت آية من آياتها ...

لقد سألت ناظمها الشاعر الجليل : ماذا أوحى إليك بنظم مسرحيتك ؟ فأجاب حفظه الله : لقد اقترحتها علىّ زوجتى ... ظللها الله برحمته ورضاه !

ولهذا حديث غير هذا الحديث ، ومقام غير ذاك المقام . وسوف أتحلل مما وعدت الأستاذ به من عدم التحدث عن هذه الأشياء ، لأنها من حق التاريخ والأدب لا من حقه .

دريني خشبة

بحث نفسي اجتماعي

لماذا لا تكون سعيداً ؟

للأستاذ عبد العزيز جادو

كثيراً ما يتوق الناس إلى ما ليس في متناول أيديهم ، لا لأنهم يريدون هذا الشيء بذاته ، ولو أنهم يظنون بأنهم سيكونون سعداء إذا حصلوا عليه ، ولكن لأن هناك شيئاً يفتقرون إليه في تركيبهم العقلي والروحي

ومن أوهام الجنس البشري أن يعتقد أن السعادة رهينة بشيء أو مكان أو زمن ؛ أو بأنه يمكن الاستحواز عليها بالمال ، أو بأنها توجد في جهة دون أخرى ، أو بأنها ستأتي حتماً على أجنحة الزمان ، وكل أولئك ـ لعمر الحق ـ من بعض الترهات التي تعتري الناس في طفولة التفكير

السعادة لا يمكن أن تشترى بمال لأنها حالة من حالات العقل — الحالة المستمدة من الداخل موجهة إلى الخارج — وستتبعك إلى كل مكان ، وفي كل وقت وفي كل حالة إذا أنت نظرت إلى الأشياء والحالات التي تحيط بك بعين مميزة فاحصة ، وعندئذ تعرف أن التمييز والتقدير هو الحب ، وأن الحب هو أن تكون سعيداً

وبعد ، فما الأشياء التي تجعلك سعيداً أو شقياً ؟ أنت اليوم تقول إنك سعيد لأن لديك ما كنت تريد . وبعد شهر ستكون شقياً وتود أن تحصل على شيء آخر ، وستكون سعيداً مرة أخرى عند ما يضيء أمامك أمل الحصول على رغبتك الجديدة ؛ وشقياً عند ما ينهار ما بنيت بسبب نكبة ما . والفقر الحقيقي أو الشقاء ليس في أن تمتلك القليل بل هو في أن تشتهي الكثير ، فلكي يكون المرء سعيداً عليه أن يكون قنوعاً فالقناعة كنز لا يفنى

السعادة التي تنبعث من خيط واه إنما هي كرغبات محسوسة معرضة للسقوط والضياع . هذي السعادة مثلها في الخداع كمثل السراب

الرغبة ، والطموح ، والتأميل فيما هو أحسن ، كل أولئك ضروري للتقدم الإنساني ولا سيما إذا فسرت كما يجب أن تفسر فهي مبعث السعادة . ولكنه التفسير الذي يخفف كفة الصواب أو كفة الخطأ في الميزان . فإذا رغبنا في شيء صائب يستحق الاهتمام وجدنا طريقة أو أخرى نحصل بها عليه ويمكننا أن نعيش في الأمل سعداء . وعلى ذلك ، يجب علينا أن نذكر أن ليس هناك شيء مادي يستحق أن نزن كل سعادتنا به ؛ فإذا كانت رغباتك تهدر سعادتك ، فقربلها جيداً وانظر كم منها غير مجد ، ورض نفسك على أن تقذف به بعيداً

لا تكن متتبعاً لأولئك الأغرار الواهمين لأنه ينقصهم العقل ، إنهم يرون قشور الأشياء لا لبابها ، والشيء الذي يعوزهم هو المقدرة على التغلغل في أعماق الأشياء ، أي التفرس والتبصر والاستشفاف

إن المغنطيس الكهربي يجذب الحديد عند ما يسري التيار في وحدانه ، كذلك تجذب الشخصية السعادة عند ما يتدفق تيار عقل ثاقب في شعوره الداخلي . ربما يكون المرء محبوباً من شخص ومكروهاً من آخر ، والاتجاهات العكسية ما هي إلا محض رد فعل لفكرة فردية تتبعها مقارنة للشخص المعين طبقاً للفكر والمقاييس المعينة لرجل بعينه . والمرء يحتمل أن يكون في الحقيقة غير مستحق حب أحد له أو كراهية أحد ؛ أو ربما يستأهل حب كل منهما . ولكن شعورهما المحدود يمنعهما رؤية الحقيقة كاملة واضحة .

وهكذا يواجه الناس الحياة . وغالباً ما تكون التأويلات الشخصية هي التي ترق بالعقول التي لا تتسع لإدراك الأشياء إدراكاً شاملاً ، وبغير ذلك يضيع الكثير من الجمال والسعادة . فإذا أمكن الفرد أن يرى السعادة في شيء فلِمَ لا يمكن أن يراها الجميع ؟ ألم يكن الفرق غالباً في عقل الفرد ؟

أنت لا يمكنك أن تكون سعيداً لأن عندك ما عندك ، ولكن لأنك تحب ما عندك . وقوة الحب والكراهية كامنة في نفسك ، واتجاهك الفردي نحو شيء وسلوكك الشخصية به هي التي يعتد بها

ربما تكون هنا ، أو هناك ، أو في أي مكان ، فإذا أضاء

فى دنيا الأحـــلام

للأستاذ توفيق حسن الشرتونى

لا أومن بالأحلام ولا أعيرها اهتماماً جدياً ، لأنى أعتبر أكثرها ناتجاً عن عوامل الغريزة المكبوتة والعقل الباطن ، غير أنى أقف حائراً أمام بعض الأحلام التى حلمتها وأصبحت بعد قليل حقيقة راهنة لا أحلاماً طارئة لا تتجاوز مخيلة النائم ولا تمدو فراشه

وكم تساءلت : أهى المصادفة تقضى بصحة بعض الأحلام أم هو الإلهام ؟ ولكن ما هى المصادفة وما هو الإلهام ؟ وكيف أعلل حدوثهما ؟ لا أدرى

وكل ما أدرى أنى رأيت أربعة أحلام صح ثلاثة منها والرابع ما يزال غامضاً ؛ وأرجح أنه سيظل غامضاً إلى ما شاء الله

حلمت وأنا فى عهد التلمذة أن المفتاح الذى كنت قد أضعته وكان يهمنى أمره كثيراً مطمور فى التراب قرب شجرة قديمة قلبك وسما عقلك ستشعر بالسعادة تغمر نفسك . أما إذا فكرت بأنك عُوملت بأجحاف ، أو إذا ظننت أنه لا يمكنك الحصول على ما ترغب ، أو إذا لم يبدُ لك الجو جميلاً ، فلا يمكن أن تملك إلا الحزن

عند ما تمطر السماء ويكفهر الجو وتتلبد السحب بالغيوم يشعر الكثيرون بالتعاسة إذ يقولون (أين هى الشمس ؟ يا له من يوم عبوس !) ويفهم آخرون — وهم أسمى روحاً — أن هناك وراء تلك السحابة المليئة بالمياه الغدقة شمساً لا تزال تشع . أليس من الخرق أن يُخدع بمثل هذا الحجاب رفيع كهذا أناس عقلاء ذوو حس ؟ ومع ذلك فالحد الذى يفصل بين الفرح والحزن دقيق كما أنه خداع ؛ مبهم لمن يميلون للظاهر ، وواضح لمن أوتوا الإيمان والذكاء فيرون الحق من خلالها

إذا كان حب شخص هو ما تظن أنه سيجعلك سعيداً فلا تعتمد على ذلك الحب . أحبب بقوة ما استطعت ولكن لا تطلب الحب إن لم تر هناك استجابة . الحب الصادق القوى هو المثل الأعلى ، ولكن إذا كان هناك تفاوت كبير فى الطبع وأنت نفسك الشخص الذى لا يميل إلى التبادل فيحسن بك العهد فى قلب اللعب الشرقى فى مدرسة الحكمة . وكنت قد فتشت عنه فى كل مكان هناك دون جدوى ، ثم وجدته فى المكان نفسه الذى هدانى إليه الحلم

أما الحلم الثانى فهو : كنت ذات ليلة جالساً فى دارى أطالع إحدى الصحف اليومية فجاءنى ولد لا يتجاوز الثالثة من عمره وضرب الجريدة التى فى يدى وطرحها أرضاً . ثم أخذ يداعبنى مقهقهاً ويلاعبنى راكضاً من كرسى إلى كرسى ، ومن ناحية إلى ناحية . والغريب فى الأمر أنى حلمت أن هذا الولد هو ولدى مع أنى ما كنت أباً فى ذلك الحين ولا متزوجاً

وبعد سنوات صح هذا الحلم بحذافيره ، إذ كنت صباح يوم جالساً فى المكان نفسه أطالع بعض الجرائد ، فخرج ولدى من غرفته وهو دون الثالثة من عمره وتقدم نحوى وضرب الجريدة وأوقعها من يدى . ثم شرع يلاعبنى ويركض مقهقهاً من مكان إلى مكان . وكان فى لباسه وكامل هيئته يشبه تمام الشبه الولد الذى عاينته فى الحلم

أليس من الغريب المدهش أن يشاهد المرء ولده فى الحلم قبل كثيراً أن تنقل انتباهك — مع إرادتك — إلى شخص آخر أكثر تلبية

والحب فى صدق وإخلاص ورزانة يمكن أن نطلق عليه بسهولة مسألة انتباه Attention . انقل انتباهك ، فينتقل حبك . وأنت لا تحب كل الملايين من الناس المحبوبين لأنك لا تعيرهم انتباهك ، ولأنك لا تعرفهم معرفة ألفة ، ولذلك لا يمكنك أن تفهم حياتهم . سيأتيك الحب بأخذك الاتجاه الإيجابى نحو الشخص الذى تحب واهباً لا سائلاً ، معطياً خطتك الحكيمة الاعتبار والانتباه الضروريين ...

ثم إن التعاسة ناشئة معظمها عن أننا نتصور غيرنا أسعد حالاً منا ، وعن أننا نريد أن نكون دائماً أسعد من سوانا ...

والشخص إذا أضاع كل شىء فعليه ألا يفقد الأمل وحب العمل . فالعمل المنتج يرفع القلب ويعلى الفكر ويشرف الشعور ويؤله النفس . وهل هناك سعادة فيما عدا ذلك أو فى شىء غير ذلك ؟

عبد العزيز عامر
دبلوم علم النفس وعضو نادى المتكلمين بانجلترا

بجيئه إلى العالم ؟ أإتفاقاً كان ذلك أم وحياً أم ماذا ؟

أما الحلم الثالث فهو : حلمت منذ أعوام أن أحد الأنبياء وهو شاب فى ريق العمر ونشاطه قد قضى نحبه فى أحد المستشفيات ؛ وبعد أيام قليلة جاءنى رسول يبلغنى خبر وفاته فى المستشفى نفسه الذى حلمته ممدداً فيه على فراش الموت

وأغرب من ذلك أن الشاب كان يتمتع بصحة يحسد عليها فلم يدر بخلدى أدنى خوف على حياته . ولم يكن لدى من داع لحدوث هذا الحلم الذى أوحى إلىّ بموته

أنا لا أدعى معرفة الغيب ولا ما يخبئه المستقبل فى طياته ، ولست من مدّعي النبوة ، أنا رجل من طلاب الأدب والعلم لا من طلاب المعجزات والخوارق . لكنى لا أنكر وجود قوة فى الإنسان تستبق معرفة الحوادث . هذه القوة ما تزال مستترة على العلم لم يسبر غورها بعد ولم يتح له تحديدها

فكم مرة يفكر المرء فى أحد أصدقائه ولا يلبث حتى يراه أمامه . وكم مرة يتخيل أمراً فيتحقق لساعته ، وقد قيل : « اذكر الذيب تو هيه قدامك »

أما الحلم الرابع فهو حادث عظيم من الغرابة ، لا يمت بصلة إلى الشهوات المكبوتة التى يقال إنها تستيقظ فى العقل الباطن فى خلال النوم ، ولا يتعلق أيضاً بموت أو ولادة أو كسب أو خسارة أو بما شاكل ذلك مما يكثر حدوثه بين الأحياء فيعلق بمخيلاتهم ويشغل أذهانهم ، فيأتيهم فى الحلم

لا أزال أذكر أننى ليلة الحلم أويت إلى مخدعى قبيل منتصف الليل ، وبقيت أتقلب على فراشى إلى ما بعد الساعة الثانية دون أن يغمض لى جفن من تكاثر قصف الرعود وتواصل هدير الزوابع والأمطار ، لأن الليلة كانت هائلة من أروع ليالى الشتاء برقاً ورعداً ومن أشدها برداً وزمهريراً

لم يتملكنى النعاس إلا فى المزيع الأخير من الليل ولم أكد أستسلم إلى سلطان الكرى حتى نزل علىّ هذا الحلم ، فشعرت ساعة نزوله كأننى لست بالنائم ولا بالمستيقظ بل بينهما ، وما بينهما سوى عالم الرؤى — عالم الأنبياء والأولياء — ولا شأن لى فى هذا العالم

فحلمت أن صديقاً لى توفاه الله منذ عدة سنوات هبط مخدعى وانتصب أمامى قائلاً : أنتم معاشر الأحياء تعتقدون أن المرء الذى تغادره الحياة تغادره المعرفة ويبرحه الشعور ، فتنقطع كل صلة له بكم وبعالمكم ، فيعود لا يدرى ما يحدث بأوساطكم ولا يشعر بأعمالكم ولا بسرائكم وضرائكم ؛ وهذا خطأ فاضح ، فالميت لا يفقد غير الحركة والنطق اللذين كان بهما يظهر لكم معرفته وشعوره ، ولا يعنى فقدانهما فقدان المعرفة والشعور ، بل فقدان الواسطة التى كان بها يتصل بكم

أجل ليس لدى الأموات ألسنة تتكلم ولا أجسام تتحرك لتعرب لكم عن معرفتها وإدراكها وشعورها بل هم بقوة الحياة الكلية — وقد أصبحوا جزءاً منها — غدوا أقوى منكم معرفة وأسمى إدراكاً وأشد شعوراً

كنت فى الحياة الدنيا أعدّ نفسى وبعدّنى الناس من فطاحل العلماء ، ومن أعاظم الدهاة الذين لا تخفى عليهم خافية ، وبعد الموت تبينت جهلى وجهل الناس تقدير إدراكى ومعارفى

فأنا الذى كنت أحسب عالماً لم أكن إلا على يسير من العلم ، وأنا الذى كنت أعدّ مدركاً لم أكن إلا على ذرة من الإدراك لأننى لم أعرف من شجرة الحياة طيلة حياتى إلا قشورها

كنت على جانب عظيم من الجهل لأننى لم أتمكن فى الحياة من معرفة أقرب المقربين إلىّ ، الذين كنت أساكنهم أو كانت تربطنى بهم صلة من الصلات . أما اليوم فقد حررنى الموت من الجهل ، فغدت علومكم التى كنت أتبجح بمعرفتها بمثابة الألاعيب صبيانية أمامى ، وصارت دنياكم الحافلة بالرموز والأسرار والأحاجى مضيئة عن ظهر قلبى ، وبواطنكم المستترة التى لم أدرك كنهها فى الحياة أصبحت اليوم واضحة حيال ذهنى وضوح شمس الظهيرة

لقد كنت مخدوعاً حقاً فى كثير من الأمور . مخدوعاً فى معرفتى لنفسى ومعرفتى للناس . فجاءنى الموت يعرفنى بنفسى مبيناً لى مقدار قصورها وعجزها فى المعرفة خلال الحياة . ويعرفنى بالناس كما هم لا كما كنت أتوهم معرفتهم . لأنه أظهر لى ما تكنه طبائعهم من خفايا الغرائز والنزعات التى كانت غامضة علىّ كل الغموض

لقد كنت مخدوعاً بالمظاهر الخارجية إلى أقصى حد . فكم رجل كنت أحسبه صديقاً فكان عدواً . وكم إنسان كنت أعدّه مخلصاً فكان مخاتلاً . وكم رجل دين كنت أعتبره جم الفضائل فكان جمّ الرذائل . وكم امرأة كنت أعتقد بها الطهر والورع فكانت على غير ذلك

أما الآن فقد تجاوزت عالم الغش والخداع والتمويه إلى عالم الحقائق فأصبحت أرى كل شيء واضحاً جلياً . إني أطل عليكم من كوة هذا العالم — عالم الحياة الكلية وأرقبكم من نوافذها المشمة فى دخائل أذهانكم وقلوبكم : وأتفقد أعمالكم وكل ما يصدر عنكم من خير أو شر . وإني لعالم بكل ما تظهرون وما تكتمون

ولست وحدى أعلم ذلك بل يعلمه مثلى كل من حرره الموت من قيود دنياكم وأصبح متحداً بالحياة الكلية التى تسبح عليه نعمة المعرفة الكاملة

فالأموات يرونكم دائماً وأنتم لا تشعرون برؤيتهم إياكم ، ويتفقدونكم دائماً وأنتم لا تعلمون بتفقدهم لكم ، لأنهم أصبحوا أرقى منكم معرفة وأسمى روحاً وأنفذ بصيرة

فكم من رجال حولى يتطلعون إلى دنياكم ويرقبون فيها أبناءهم وأحفادهم ويرون ما آلوا إليه من الضنك والفقر على الرغم من كثرة ما أورثوهم من مال وعقار . فهم يشاهدون أموالهم التى اكتسبوها بعرق الجبين وادخروها لأبنائهم كيف تتبدد فى الحانات والمواخير وأندية الميسر والخلاعة ، ويأسفون لضياعها فى بؤرة الفساد ويتألمون لأنهم لم يعملوا بها عملاً مفيداً للجنس البشرى بدلاً من توريثها لمن لا يستحقها

أما دنياكم هى دنيا الحروب والمطامع — دنيا الرياء والأباطيل — دنيا الأخطاء والفواحش — دنيا الخوف والجهل والضعف . ولهذا نحن نشفق عليكم بالرغم من كثرة شذوذكم وتهوركم على الأخص من معرفة الحقيقة — حقيقة نفوسكم وحقيقة غرائزكم . كأن الحقيقة هى غول دنياكم تخشونها كما تخشون الموت ، والحقيقة وحدها هى رجاؤكم الوحيد . فخير لكم أن تظهروا على علاتكم بدلاً من أن تتقنعوا بأقنعة الغش وتتستروا بها ، فهى لا تستركم عن وجه الحق . فالأقنعة فانية والحقائق باقية .

انتهى الحلم فاستيقظت فور انتهائه وأنا أردد عبارته الأخيرة . فقلت فى نفسى هل الأقنعة الفانية هي أجسامنا التى نتعارف بها فى هذا الكون ، والحقائق الباقية هى جوهر الحياة الذى لا يدركه الفناء . ثم عكفت على نفسى أسألها : كيف جاءنى هذا الحلم ؟ وهل يحلم المرء بما لا يدركه وما لا يقع تحت حواسه ؟

ألا تبلغ المخيلة شأواً لا تبلغه الحواس ولا يصل إليه الإدراك ؟ أليس للدين الذى يلقن الإيمان بالحياة الأخرى ضلع أيضاً فى هذا الحلم المرتكز على الإقرار الصريح ببقاء الحياة بعد الموت ؟

أليس لمعضلات الحياة الدنيا ومشاكلها أو بالأحرى ، أليس لتطلعي لمعرفة أسرارها وحل رموزها وأحاجيها يد فى إلهام هذا الحلم الذى يعللنى بكمال المعرفة بعد الموت ويشبع رغباتى وتمنياتى ولو فى العالم الآخر بالوصول إلى ذروة الإدراك : إدراك دقائق الحياة وخفايا الكائنات ؟

(بيروت) **توفيق حسن الشرتوني**

مصلحة السجون

إعلان مناقصة

تقبل عطاءات عن توريد خوص وليف نخيل بلدى لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٧ — ٥ — ١٩٤٤ ويمكن الاطلاع على الشروط بالمصلحة وبوزارة التجارة والصناعة وبالغرف التجارية المصرية وتشترى بمبلغ ٧٠ مليما ٢١٥٥

٣ـ الألغاز في الأدب العربي

للأستاذ محمود عزت عرفة

ألغاز الفقهاء والنحويين

(١) كان الفقه الإسلامي في نموه ، وانشعاب فروعه من أصوله ، أشبه شيء بالدوحة العظيمة أنشبت في الأرض جذورها ثم تطاولت إلى السماء بهيكلها ، وأرسلت أفنانها مكتسيات بالورق النضر في كل متجه فلم تدع تحتها مكاناً ضاحياً أو موضعاً غير ظليل

وفي العصر العباسي وما تلاه من عصور التدوين والتصنيف توسع الفقهاء في دراسة الفروع توسعاً لم يتركوا معه شاردة ولا واردة إلا أثبتوها ؛ وراحوا يفتنون في افتراض مواطن الشبه ، ثم الإفتاء فيها بما يزيل لبسها ، افتناناً ولجوا به باباً من التكلف والصنعة لم يحمد الكثيرون لهم مغبته لما قد صرفهم إليه من الحفول بالتوافه واستنفاد قوى التفكير فيما لا تعظم جدواه أو ينفع كثيراً علمُه

وقد أشرنا فيما قبل إلى ذيوع ما أسموه فتيا فقيه العرب ؛ ونذكر هنا أن جلة العلماء ورؤساء المذاهب منذ القرن الثاني لم يسلموا في مجالسهم وحلقات دروسهم ممن يتعرض لهم بأسئلة يرمي بها إلى تعجيزهم ، ويذهب فيها مذهب التعمية والإلغاز على نهج فتاوى فقيه العرب

ولم يكن بد لهؤلاء الأئمة من أن يجيبوا وإن صرفهم ذلك لحظة أو لحظات عما هم بسبيله من البحث المجدي والتحقيق المفيد

قال الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي — المتوفى سنة ٦٠٦هـ — في كتابه مناقب الإمام الشافعي : اعلم أنه نقل أن الشافعي سألوه في بعض المسائل بألفاظ غريبة ، فأجاب عنها في الحال بألفاظ عربية ونحن نذكر بعضها . أحدها : قيل له : كم قُرء أم فلاح ؟ فأجاب على البديهة : من ابن ذكاء إلى أم ثملة . والمراد بالقرء الوقت ، وأم فلاح الفجر وهو كنية الصلاة . والسؤال واقع عن مدة وقت صلاة الفجر ؛ وقول الشافعي رضي الله عنه من ابن ذكاء أي من وقت الصبح وهو كنيته ، إلى أم ثملة وهي كنية الشمس أي إلى طلوع الشمس ... وسئل : هل تسمع شهادة الخالق ؟ قال : لا ولا روايته . والخالق الكاذب قال تعالى : « إن هذا إلا خلق الأولين » وأورد الفخر الرازي أمثلة أخرى ، ثم ختم بقوله : فلنكتف بهذا القدر ، إذ لا يمدح الشافعي بمثله !

(ب) وقريب من ألغاز الفقهاء وفتاويهم — وإنهن لكثر — ألغاز أئمة اللغة

على أن هؤلاء لم يكتفوا بابتداع الألغاز ابتداعاً ، أو جمع ما قيل منها مقصوداً به التعمية حقيقة ، وإنما أضافوا إلى ذلك أشياء من كلام العرب فطنوا إلى إمكان إيجاد التعمية فيها ، وإن لم يقصد قائلوها ذلك . وأكثر هذا أبيات من الشعر القديم[1] « لم تقصد العرب الإلغاز بها وإنما قالتها فصادف أن يكون ألغازاً . وهي نوعان : فإنها تارة يقع الإلغاز بها من حيث معانيها وتارة يقع الإلغاز بها من حيث اللفظ والتركيب والإعراب » . ويسمى القسم الأول أبيات المعاني ، ومن أقدم أمثلتها قول الشاعر — يصف عقاباً صعد إلى موضع وكرها في يوم عاصف الريح :

ومحجوبة أزعجتها عن فراشها ... تحامى الحواشي دونها والمناكب
وخفاقة الأعطاف بانت معانق ... تجاذبني عن مئزري وأجاذب

ومن جياد أبيات المعاني في شعر المتأخرين قول النواسي يصف الكرم :

لنا هجمةٌ لا يدّري الذئب سخلها
ولا راعها غضُّ الفِحالة والحظرُ
إذا اختبرت ألوانها مال صفوُها
إلى الحوّ إلا أن أوبارها خُضر

وقوله من قصيدة يمدح فيها الفضل بن يحيى :

إليك أبا العباس من بين من مشى
عليها امتطينا الحضرميَّ الملسَّنا
قلائصُ لم تعرفْ حنيناً على طَوًى
ولم تدْرِ ما قرعُ الفنيق ولا الهِنا

قال ابن رشيق : « فذكر أن قلائصهم التي امتطوها إليه

(١) السيوطي في المزهر ج ١ ص ٣٣٨

نعالهم ، فأخرجه كما ترى مخرج اللغز ، واتبعه أبو الطيب فقال :

لا تافتى تحمل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان أجهدها
شراكها كورها ، ومشفرها زمامها ، والشسوع مِقْودها

ومن أبيات المعانى قول شاعر يصف أيام الزمان ولياليه (وهى الأسبوع) :

سبعٌ رواحلُ ما ينخْنَ مر الوَنا
شـــيمٌ تُساق بسبعة زُهْر
متواصلات لا الدؤوبُ يمَلُّها باقٍ تعاقُبها على الدهر

ولابن إسحق الجرمى (ت سنة ٢٢٥هـ) فى دودة القز :

وبنات جيب ما انتقعت بعيشها ووأدتُها فنفعْتنى بقبور
ثم انبعثن عواطلاً فإذا لها قرن الكباش إلى جناح طيور

وقال صرَّدر ملغزاً بجرة (توفى عام ٤٦٥هـ) :

ذاتُ أيدٍ ثلاثة أبدَ الدهْ ـ ـرِ ترى فوق رأسها أيديها
شربتْ ماسقيتَها من شراب ثم تسقيك مثل ما تسقيها
خَرَتْ آذانها مَغابنُ أيدٍ ـ ـيها ويافوخُها مقرٌّ لفِيها

ولابن الخشاب يُلغز فى كتاب (توفى فى سنة ٥٦٧هـ) :

وذى أوجه لكنه غير بائح بسر ، وذو الوجهين للسر مظهر
تناجيك بالأسرار أسرار وجهه فتفهمها ما دمت بالعين تنظر

وقال شاعر يلغز فى (الإبرة) :

سمت ذات سَمٍّ فى قميصى فنادرت
به أثراً ، والله يشفى من السمّ
كست قيصراً ثوب الجمال وتبَّعاً
وكسرى وعادت وهى عارية الجسم

وللحاتمى فى الباب (توفى عام ٣٨٨هـ) :

عجبت لمحرومين من كل لذة يبيتان طول الليل يعتنقان
إذا أمسيا كانا على الناس مرصداً وعند طلوع الفجر يفترقان

ألغاز فى اللفظ والتركيب والإعراب

مرت بنا أمثلة مختلفة لأبيات المعانى قديمها ومحدثها ... أما الضرب الثانى من ضروب الألغاز وهو ما يستعان فيه بالإعراب فى « اللفظ أو التركيب والإعراب » فذلك ما تتضاءل جودته أمام النوع الأول ويصغر قدره دونه

وإن أثر التكلف والصنعة ليظهر فيه ظهوراً لم تعرفه العربية فى عصورها المتقدمة . وهو لا يعدو أن يكون ـ فى أكثر أمره ـ تمويهاً لفظياً سهل الإدراك قليل العمق ، لا يصعب على السامع فهمه ، ولا على المنشئ إيراد مثله

ومن أقدم نماذجه التى تلمسها اللغويون فى شعر الأوائل . قول الفرزدق :

يفلّقنَ هاماً لم تنله سيوفنا بأسيافنا هام الملوك القماقم

قال ثعلب : ها حرف تنبيه ومَن استفهام . قال مستفهماً : من لم تنله سيوفنا ؟ وتقدير البيت : يفلقن بأسيافنا هام الملوك القماقم . قلت : فيكتب البيت هكذا :

يفلقن « ها ، من لم تنله سيوفنا ؟ »
بأسيافنا هامَ الملوكِ القماقم

وقال آخر :

عافت الماء فى الشتاء فقلنا بردِّيه تصادفيه سخينا

قال السيوطى : جوابه أن الأصل « بل رديه » ثم كتب على لفظ الإلغاز

ومن ذلك قول الآخر :

لما رأيت أبا يزيد مقاتلاً أدع القتال وأشهد الهيجاء

قال : يقال أين جواب لما ؟ وبم انتصب « أدع » ؟ ثم أوضحه بما خلاصته أن يكتب البيت هكذا . لن ـ ما رأيت أبا يزيد مقاتلا ـ أدعَ ... الخ

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادى عبد شمس وهاشم

معنى البيت : أقول لعبد الله ـ لما سقاؤنا وهى أى ضعف ونحن بهذا الوادى ـ شِمْ ، أى شم البرق عسى يعقبه المطر ...

ونلاحظ أن هذا الضرب الأخير من الألغاز اللفظية لقى أنصاره والمتشيعين له منذ القرن الخامس الهجرى فما بعده ؛ وراج على ألسنة النظامين والسجاعين ممن آثروا جانب اللفظ على جانب المعنى ، وأنفقوا مجهودهم فى المحسنات البديعية والجلى اللفظية يرصعون بها صفحات منثورهم ومنظومهم . وكأنما الضرب الأول من أبيات المعانى قد ذهب بذهاب المطبوعين من أدباء اللغة ، وذوى القرائح المبتكرة فيها . وبقى هذا الضرب الأخير من التلاعب بالألفاظ يتمم الصورة الباهتة لحالة الأدب فى عصور

القضايا الكبرى فى الإسلام

٥ ـ قتل حجر بن عدى

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

هذه القضية من أكبر القضايا الإسلامية ، وقد قام المسلمون وقعدوا لها ، وعدوها على معاوية بن أبى سفيان فى أربع عدوها عليه . روى ابن الجوزى بإسناده عن الحسن البصرى أنه قال : أربع خصال كُنَّ فى معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة ، وهى أخذه الخلافة بالسيف من غير مشاورة ، وفى الناس بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلاف ابنه يزيد وكان سكيراً خميراً ، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، وادعاؤه زياداً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقتله حُجْر بن عَدِىّ ، فياويلاً له من حجر وأصحاب حجر

وهذا إلى ما بلغه عدد الشهود فى هذه القضية ، فقد بلغوا فيها سبعين شاهداً ، ولم تصل إلينا قضية إسلامية بلغ الشهود فيها مثل هذا العدد ، وكل هذا يدل على ما لهذه القضية من الشأن فى الإسلام ، وسنقوم بدرسها غير متأثرين فيها إلا بما يقضى به الشرع ، لأن حكمه فوق كل شخص ، ويجب أن يكون نافذاً فى الناس كلهم ، كبيرهم وصغيرهم ، ورفيعهم ووضيعهم

كان حجر بن عدى من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد القادسية فى خلافة عمر ، وشهد بعد ذلك الجمل وصفين ومحب عليًّا ، فكان من شيعته ، وكان من أعظم الناس ديناً وصلاة وعلماً ، ولكنه كان مغالياً فى تشيعه ، حتى إنه لم يسترح لما استراح له الناس جميعهم من تسليم الحسن بن على لمعاوية ابن أبى سفيان . واجتماع كلمة المسلمين بعد ذلك الخلاف الذى كاد يقضى عليهم

وقد تم ذلك الصلح سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، فاستعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة ، وأوصاه فيما زعم المؤرخون ألا يترك شتم على وذمه ، والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب لأصحاب على والإقصاء لهم ، والإطراء بشيعة عثمان والإدناء لهم ، فأقام المغيرة عاملاً على الكوفة وهو أحسن شىء سيرة ، ولكنه كان لا يدع شتم على والوقوع

انحطاطه ، وهو كما قلنا أيسر تأليفاً وأقل عمقاً من سابقه . ومن أمثلته المتأخرة قول ابن نباته ملغزاً فى « القطائف » :

أحاجيك ، ما حلو اللسان وإنه لأبكم إذ تعزى إليه المعارف
يُرى جالساً فى الصدر ما كان كاملاً
فإن نقصوه فهو فى الحلق «طائف»

وللشريف فتح الدين القفائى يلغز فى « كمُّون » :

يأيها العطار أعربْ لنا عن اسم شىء قل فى سوْمكْ
تبصره بالعين فى يقظة كما يرى بـ«القلب» فى «نومك»

وذلك أن مقلوب أحرف « نومك » هو « كمون » ...

وقال صلاح الدين الصفدى ملغزاً فى « الفيل » :

أيما اسم تركيبه من ثلاث وهو ذو أربع ، تعالى الإله !
حيوان و «القلب» منه نباتٌ لم يكن عند جوعه يرعاه
« فيك » تصحيفه ، ولكن إذا ما رمت عكساً يكون « فى » ثلثاه

وقال آخر ملغزاً فى « بلبل » :

وما طائر نصفُه كله له فى ذرى الدوح سير وليث
رأينا ثلاثة أرباعه إذا صحفوها غدت وهى «ثلث»

وكانوا ربما يهوى أحدهم إلى درك من السخف بعيد فيقول :

يا من له الطول فى المعالى وبالمعانى لنا يبصّرْ
إنى كما قلت فى سؤالى ماشل قولى نعم مقصّر !

و « نعم مقصر » يرادفها « إى وَان » ؛ فذلك لغز فى « إيوان » بعث به على بن الحسين الموصلى إلى صديقه ومعاصره صلاح الدين الصفدى

وقريب منه قول شهاب الدين بن حجر ملغزاً فى « صهباء » :

يا فاضلاً هو فى الأحا جى ليس يخلو من ولع
ما مثل قولك للذى يبكى الحبيب : « اسكتْ رجَع ! »

(يتبع)

محمد عرفة عرفة

فيه ، والدعاء لعثمان والاستغفار له ، فإذا سمع ذلك حجر بن عدى قال : بل إياكم ذم الله ولعن ، ثم قام وقال : أنا أشهد أن من تذمون أحق بالفضل ، ومن تزكون أولى بالذم ؛ فيقول له المغيرة يا حجراتق هذا السلطان وغضبه وسطوته . فإن غضب السلطان يهلك أمثالك . ثم يكف عنه ويصفح ، فلما كان آخر إمارته قال فى على وعثمان ما كان يقوله ، فقام حجر فصاح صيحة بالمغيرة سمعها كل من بالمسجد ، وقال له : مر لنا أيها الإنسان بأرزاقنا فقد حبستها عنا وليس ذلك لك . فقام أكثر من ثلثى الناس يقولون : صدق حجر وبَرَّ ، مُرْ لنا بأرزاقنا ، فإن ما أنت فيه لا يجدى علينا نفعاً . وأكثروا من هذا القول وأمثاله ، فنزل المغيرة ودخل عليه قومه فقالوا : علام تترك هذا الرجل يجترىء عليك فى سلطانك ؟ فقال لهم : إنى قد قتلته ، سيأتى من بعدى أمير يحسبه مثلى ، فيصنع به ما ترونه يصنع بى ، فيأخذه ويقتله

ثم توفى المغيرة فضم معاوية الكوفة إلى زياد بن أبى سفيان ، فقدم إليها من البصرة ، ثم قام فى الناس فخطبهم ، وترحم على عثمان وأثنى على أصحابه ، ولعن قاتليه ، ورجع إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث ، فبلغه أن حجراً يجتمع إليه شيعة على ، ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه ، وأنهم حصبوا عمرو بن حريث ، فشخص إلى الكوفة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه — وحجر جالس — ثم قال : أما بعد فإن غِبَّ البغى والغى وخيم ، إن هؤلاء جَرُّوا فأشروا ، وأمنونى فاجترؤوا علىَّ ، والله لئن لم تستقيموا الأداوينكم بدوائكم ، ولست بشىء إن لم أمنع الكوفة من حجر ، وأدعه نكالا لمن بعده

ثم أرسل إلى حجر يدعوه وهو بالمسجد ، فقال له أصحابه لا تأته ولا كرامة ، فرجع الرسول فأخبر زياداً بذلك ، فأمر صاحب شرطته أن يبعث إليه جماعة ، ففعل فسبهم أصحاب حجر ، فجمع زياد أهل الكوفة وقال لهم أتشجُّونَ بيد وتأسون بأخرى ، أيدانكم معى وقلوبكم مع حجر الأحمق ، هذا والله من دحسكم ، والله لتظهرن لى براءتكم أو لآتينكم بقوم أقيم بهم أودَكم وصعرَكم . فقالوا : معاذ الله أن يكون لنا رأى إلا طاعتك وما فيه رضاك . فقال لهم : فليقم كل رجل منكم فليدع من عند حجر من عشيرته وأهله ، ففعلوا وأقاموا أكثر أصحابه عنه ، ثم بعث زياد صاحب شرطته إلى حجر وأمره أن يشد عليه وعلى أصحابه بالسيوف إن لم يتبعوه ، فأتاه صاحب الشرطة يدعوه فمنعه أصحابه من إجابته ، وحصل بين الفريقين قتال لجأ بعده حجر إلى داره ، ثم انتقل منها إلى دور بعض أهل الكوفة يحتمى بها ، ولما ضاق عليه الأمر أرسل إلى محمد ابن الأشعث الكندى ليأخذ له من زياد أماناً حتى يبعث به إلى معاوية ، فجمع محمد جماعة ودخلوا على زياد فاستأمنوا له على أن يرسله إلى معاوية فأجابهم ، فأرسلوا إلى حجر فحضر عند زياد ، فلما رآه قال : مرحباً بك أبا عبد الرحمن ، حرب فى أيام الحرب ، وحرب وقد سالم الناس ، على أهلها تجنى براقش . فقال حجر : ما خلعت طاعة ، ولا فارقت جماعة ، وإنى لعلى بيعتى . فقال زياد : هيهات هيهات يا حجر ، تَشُجُّ بيد وتأسو بأخرى ، وتريد إذا أمكن الله منك أن ترضى ، كلا والله . فقال حجر : ألم تؤمنى حتى آتى معاوية فيرى فىَّ رأيه ؟ فقال زياد : بلى قد فعلنا ، انطلقوا به إلى السجن

ثم بعث زياد إلى أصحاب حجر حتى جمع منهم اثنى عشر رجلا فى السجن ، ودعا رؤساء الأرباع وهم عمرو بن حريث وخالد بن عرفطة وقيس بن الوليد وأبو بُردة بن أبى موسى الأشعرى ، وقال لهم : اشهدوا على حجر بما رأيتم منه ، فشهدوا أن حجراً جمع إليه الجموع ، وأظهر شتم الخليفة ، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين ، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا فى آل أبى طالب ، وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه ، وعلى مثل رأيه وأمره

وقد نظر زياد فى شهادتهم فقال : ما أظن هذه الشهادة قاطعة ، وإنى لأحب أن تكون الشهود أكثر من أربعة . فكتب أبو بردة شهادة غيرها قال فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبى موسى لله رب العالمين ، شهد أن حجر بن عدى خلع الطاعة ، وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة ، وخلع أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله عز وجل كفرةً

صلعاء[1]. فقال زياد: على مثل هذه الشهادة فاشهدوا، أما والله لأجهدنّ على قطع خيط عنق الخائن الأحمق. فشهد عليها سبعون شاهداً من وجوه أهل الكوفة

ثم بعث زياد بحجر وأصحابه إلى معاوية ومعهم هذه الشهادة، فحبسهم بمرج عذراء، وكتب إلى زياد: أما بعد فقد فهمت ما اقتصصت به من أمر حجر وأصحابه، وشهادة من قِبَلَكَ عليهم، فنظرت في ذلك، فأحياناً أرى قتلهم أفضل من تركهم، وأحياناً أرى العفو عنهم أفضل من قتلهم، والسلام

فكتب إليه زياد: أما بعد فقد قرأت كتابك، وفهمت رأيك في حجر وأصحابه، فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم، وقد شهد عليهم بما قد سمعت من هو أعلم بهم، فإن كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردنّ حجراً وأصحابه إليّ

فلما قرأ معاوية كتابه أمر بقتل حجر وسبعة من أصحابه، وعفا عمن بقي منهم بشفاعة بعض أصحابه من قومهم، وكان مالك بن هبيرة السكوني قد قال لمعاوية: يا أمير المؤمنين دع لي ابن عمي حجرا. فقال له معاوية: إن ابن عمك حجرا رأس القوم، وأخاف إن خليت سبيله أن يفسد علي مصري، فيضطرنا غداً إلى أن نشخصك وأصحابك إليه بالعراق. فلما قتل معاوية حجرا اعتزل مالك معاوية في منزله، فأرسل إليه معاوية أن يأتيه فأبى، فبعث إليه بمائة ألف درهم، وقال له: إن أمير المؤمنين لم يمنعه أن يشفعك في ابن عمك إلا شفقة عليك وعلى أصحابك أن يعيدوا لكم حرباً أخرى، وإن حجر بن عدي لو قد بقي خشيت أن يكلفك وأصحابك الشخوص إليه، وأن يكون ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر. فقبلها وطابت نفسه، وأقبل إليه من غده في جموع قومه حتى دخل عليه ورضي عنه

ولكن كثيراً من الناس لم يقبلوا هذا العذر من معاوية في قتل حجر وأصحابه، وأنكروا عليه هذا الحكم إنكاراً شديداً، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: لو لا أنا لم نغير شيئاً إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيّرنا قتل حجر، أما والله إن كان ما علمت إلا لمسلماً حجّاجاً معتمراً. وقد رثته هند بنت زيد الأنصارية وكانت تَشَيَّعُ فقالت في رثائه:

ترفع أيها القمر النير ... تبصّر هل ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتله كما زعم الأمير
تجبّرت الجبابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير
ألا يا ليت حجراً مات موتاً ... ولم ينجركما نحر البعير
فإن يهلك فكل زعيم قوم ... من الدنيا إلى هلك يصير

والذين لا يعذرون معاوية في قتل حجر يرون أن ما حصل منه لا يحل به سفك دمه، لأن دم المسلم حرام ما لم يرتد عن دينه أو يسفك دم غيره، وقد حملوا في ذلك آية الحرابة على خلاف ظاهرها، وهي قوله تعالى في الآية — ٣٣ — من سورة المائدة (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) فذهبوا إلى أن أو في هذه الآية للتفصيل لا للتخيير، وعلى هذا يكون جزاء أولئك المحاربين أن يقتلوا إذا قتلوا، وأن يصلبوا إذا قتلوا وأخذوا المال، وأن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إذا أخذوا المال ولم يقتلوا، وأن ينفوا من الأرض إذا أخافوا الناس ولم يأخذوا مالاً ولم يقتلوا

ولا شك أن هذا كله خلاف ظاهر الآية، ولهذا ذهب كثير من السلف إلى أن أو فيها للتخيير لا للتفصيل، فيكون ولي الأمر مخيراً في هذه العقوبات يجتهد فيها على ما تقتضيه مصلحة الدولة، ولا يتقيد فيها بتلك القيود السابقة، وقد أخذ معاوية بهذا في حكمه على حجر، ورأى أنه أمام فتنة إذا لم يأخذ فيها بأقصى العقوبة استطار شررها، ويكون في ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر وأصحابه، وقد كان له أن يأخذ في ذلك بأخف هذه العقوبات وهو النفي من الأرض، ولكنه استعمل فيه حقاً أباحه له الله تعالى، وله في ذلك اجتهاده الذي يعذر فيه ولو كان خطأ، ولو أنه استعمل في ذلك أخف هذه العقوبات لكان أولى وأحسن

وكان على حجر وأصحابه أن يتعظوا بتلك الفتن التي ذهبت فيها دماء من لا يحصى من المسلمين، وقتل فيها خليفتان من الخلفاء الراشدين، وأن يسعهم في ذلك ما وسع من كان أعلى منهم مقاماً، وأعظم شأناً، وأقوى كلمة، من كبار المهاجرين

(٦) يرى في هذا أن الخروج على الامام والجماعة كفراً

على هامش النقد

من الشعر الجديد

للأستاذ محمد محمود رضوان

يأبى شعراء الشباب الذين يحمل عليهم الأستاذ الكبير « ا . ع » ، ويأبى الذين ينافحون عنهم من الشيوخ أن يقروا هذه الحملة إلا أن تكون مدعومة بأمثلة من هذا الشعر توضح نهجه وتكشف عواره إن كان فيه عوار

والأستاذ « ا . ع » يأبى ذلك ولا يرضاه ، ولعل عذره أنه لا يهاجم أشخاصاً ، بل يريد إصلاحاً فما به من حاجة إلى إثارة شاعر بعينه أو تجريحه

وللأستاذ فى ذلك رأيه ، ولكن ها هو ذا شاعر من شعراء الشباب يقدم نفسه ، ويعرض على الأستاذ الكبير قصيدة من شعره ـ لعلها من أحسن بضاعته ـ ثم يسأله رأيه فى هذا الطراز من شعر الشباب

وما على الأستاذ الكبير لو أجابه ؟ إنه لم يفعل . حينئذ رأيت ـ وأنا ممن يضيقون بهذا الشعر الجديد ـ أن أكفيه الجواب ، وأتولى عنه بعض ما أشركه فيه من رأى فى هذا الشعر

أما هذه القصيدة فهى « أين الطريق » ، وصاحبها هو الشاعر الشاب الأستاذ على شرف الدين

— ١ —

وقبل أن نناقش القصيدة يجدر بنا أن نتساءل ، أهى من الشعر الجديد حقاً حتى يمكن أن نتخذها أنموذجا ننتهي من دراسته إلى الحكم لهذا الشعر أو عليه ؟ أو بعبارة أخرى هل يرضى شعراء الشباب الذين يحوم حولهم النقاش أن تمثل هذه القصيدة مذهبهم الجديد ؟

أما أنا فأرى أنها جمعت القديم والجديد معاً . أخذت من القديم شيئاً ومن الجديد أشياء ، هى من القديم فى وحدة موضوعها ، ومن النادر أن ترى قصيدة فى هذا الشعر الجديد تدور حول موضوع مؤتلف تتسلسل أفكارها وتتواكب معانيها لبلوغ هدف واحد ، بل إنك ترى القصيدة ـ من هذا الشعر ـ فجوات لا اتساق بينها ، يطرق الشاعر معنى ثم يوغل فيه بأنماط من التشبيهات والاستعارات المتسفة والأخيلة البعيدة حتى لتخرج منه بفكرة مشوهة غير محدودة ، ثم ينتقل بك إلى آخر لا يمت إلى سابقه بوشيجة وهكذا دواليك ، حتى تنتهى من القصيدة ، التى قد تبلغ المائة من الأبيات ـ وما ظفرت منها بهدف أو عرفت بين أفكارها نسباً .

أما قصيدتنا فهى إلى القديم أقرب من هذه الناحية ، تفهم من عنوانها (أين الطريق) ما فى نفس الشاعر من حيرة . يبدؤها بيأس من الحياة جرّه عليه احترافه الأدب ، ثم يمضى فى وصف هذا اليأس وكيف أدرك قيمة الحياة فنفض منها كفه ومات شعوره فما يحس فرحا أو حزناً ، ثم يخاطب أمه وأباه فيشكو إليهما أساه وحاله اليائسة ، ويتساءل أذلك من غضبهما

والأنصار ، وزعماء قريش وغيرها من القبائل ، وما كان لهم أن يتكلموا وقد سكت الحسن والحسين وابن عباس وابن الزبير وابن عمر وغيرهم ممن يجب أن يرجع إليهم فى ذلك الأمر ، ولا يذكر حجر وأصحابه بجانبهم ، لأنه لم يكن لهم فيه ناقة ولا جمل

وقد يقال إن حجراً وأصحابه كانوا على حق فى ثورتهم للعن على رضى الله عنه ، ولكن حقهم فى ذلك يضيع بما كانوا يذهبون إليه من لعن عثمان ومعاوية ، وقد كان منهم عمرو بن الحمق الذى كان يزعم أنه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه ، على أن كثيراً من المؤرخين ينكرون ما روى من أن بنى أمية كانوا يلعنون علياً على المنابر ، وقد ذكر من روى ذلك أن الحسن طلب إلى معاوية فى صلحه معه أن يكف عن شتم على فلم يجبه إليه ، فطلب ألا يشتم وهو يسمع فأجابه إلى ذلك ولكنه لم يف به ، ولا أدرى كيف يعقل هذا مع أن معاوية كان قد جعل الأمر بعده للحسن ، وما أظن الذى كان يتلى على المنابر يتعدى لعن قتلة عثمان ، فكانت شيعة على ترى أنهم يقصدونه بذلك ، وكان يؤلمهم ذلك اللعن ، لأن كثيراً منهم اشترك فى ذلك القتل

عبد المتعال الصعيدى

عليه أم لكثرة ذنوبه ؟ ويذكره ذلك بأيام الصبا فى كنفهما فيتحسر على تلك الأيام الذواهب ، كما كان يتحسر عليها الأقدمون من الشعراء ، ثم يذكر همته التى طمحت إلى المجد فكبا دونه سالكا فى ذلك سبيل الاستعارة ، فإذا المجد جبل مرهوب المناور أملى الشباب عليه أن يرقاه ولا زاد له إلا الأعصاب والفصحى فتمزقت كفه ودميت قدماه ، ولكن لا عجب فقد تكشفت له محنة الأكفياء ونكبة الأدباء فى هذا البلد العجيب

— ٢ —

ولو أنك نظرت إلى هذه المعانى التى طرقها الشاعر لم تجد فيها شيئاً جديداً يمكن أن نعده من سمات الشعر الجديد إلا انتحاءها ناحية اليأس المرير يطالعك فى مطلع القصيدة ويصاحبك فى كل بيت من أبياتها حتى تأتى على آخرها

عافى الله الأستاذ حبيب الزحلاوي إذ يقول « إن الشعر روح وإن الحياة الشعرية التى لا تفيض بالنعمة ولا تشيع السرور بالنفس والفرحة بالوجود ليست بحياة »[1]

وأى أمل نرجوه فى شعر يدعو إلى اليأس ويثبط الهمة ويجعل الدنيا ليلاً حالكا

لم يبلغ الأمل البعيد قال لليأس القريب
أصبحت رسماً حافلاً باليأس والصمت الرهيب

هذه النغمة التى تفيض على القصيدة من أولها إلى آخرها هى من أبرز سمات الشعر الجديد . كأن الشاعر لا يعرف قدره إلا أن شاع فى شعره اليأس والحزن والأسى

نعم ... لقد ردد القدماء بؤس الأديب وشقاء من أدركته (حرفة الأدب) ورأينا هذا المعنى كثيراً فى شعر الخريمى وأبى تمام وأبى العلاء ولكننا لم نر منهم شاعراً يناقض شعره حياته ويقول غير ما يحس ، لم نر منهم من كان فى حياته راضياً وفى شعره ساخطاً كما نرى فى هذه الأيام . بل رأينا من كان فى حياته وشعره راضياً كأبى نواس ، أو فيهما ساخطاً كأبى العلاء . أما التلفيق بين رضا الحياة وسخط الشعر فبدع لم نره إلا عند سادتنا شعراء هذا الزمان

(١) العدد ٥٦٣ من الرسالة

إنك لترى الشاعر فى أيامنا هذه وحياته كلها مرح ولهو ومجون وانبساط ، فإذا أمسك القلم لينظم رأيت الدموع والحسرات واليأس المر كأنه لا يكون شاعراً إلا إذا ركب زورقاً من الأحزان فى بحر من العبرات

إن شاعراً كعبد الحميد الديب — رحمه الله — إذا شدا فى شعره بالبؤس والشقاء فلا بدع ، لأنه كان بائساً شقياً فهو يصور حاله التى يعانيها ، ويصف حياته التى يقاسيها — وهذه هى مهمة الأدب

أما شاعر كطاهر أبو فاشا — وهو معروف بمرحه ولهوه وازدحام حياته بأساليب المزح والدعابة — فلن نقبل منه هذا الشعر القاتم الحزين الذى تلمحه حتى فى عنوان ديوانه (الأشواك) فتحس منه الوخز وتلمس الدماء ... وما أحسب هذا الشعر إلا أثراً من آثار التقليد بين شعرائنا المحدثين من الشبان . سرى فيهم فسموا دواوينهم (ألحان الألم) و (الدماء) وغير ذلك من الأسماء

نعود إلى قصيدتنا فنقول إنها خالفت الشعر الجديد أيضاً فى وضوحها . فليس فيها فكرة غامضة كهذه الأفكار التى يكتظ بها هذا الشعر ، ومما يعجب من الأستاذ البشبيشى أن يضع هذا الغموض بجانب ما فى شعر أبى تمام والمتنبى والمعرى وابن هانىء وشوقى والزهاوى من عقد فى الخيال حيرت الباحثين أزماناً[2]

شتان يا سيدى ما بين غموض منشؤه عمق الفكرة ودقة التصور ، وغموض منشؤه خطأ الفكرة وفسادها . هذا غامض لأنه يحتمل كيت وكيت من أوجه التأويل والتخريج وكلها صائب . أو لأنه عميق بعيد الغور حتى إذا كشفت عن معناه وأسفر لك وجهه هششت له وانشرح صدرك

أما ذاك فغامض ، لأنه لم يُبن على أساس من الفكر الصحيح فيهيأ أن ينكشف لك فيه وجه — لأنه لا وجه له — إلا مع تعسف لا يحتمله اللفظ ولا تطيقه العبارة

هل قرأ أستاذى البشبيشى بيت أبى تمام فى الخمر :

جهمية الألفاظ إلا أنهم قد لقبوها جوهر الأشياء

(١) الرسالة العدد ٥٦٤

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٥٣ — أمن الناس بستر هذا الشعر أنت

قال أبو الفرج : تقدم رجل إلى عبيد الله بن الحسن ابن الحصين بن أبي الحر وهو قاضي البصرة مع خصم له ، فغلط في قوله ، فتمثل عبيد الله بقول أبي الأسود :

يصيب وما يدري ويخطي وما درى
وكيف يكون النوك إلا كذلكا

فقال الرجل : إن رأى القاضي أن يدنيني منه لأقول شيئاً فعل ، فقال له : ادن . فقال له : إن أحق الناس بستر هذا الشعر أنت ، وقد علمت فيمن قيل (وكان قد قيل في جد عبيد الله) فتبسم عبيد الله وقال له : إني أرى فيك مصطنعاً فسر إلى منزلك وقال لخصمه : رح إلى فغرم له ما كان يطالب به

وهل فكّر أي مذاهب الجهمية يريد ؟ وهل قرر ما يحتمله البيت من تأويل وتخريج ؟ وهل تذوق النشوة التي يتذوقها من يتكشف له وجه يرضيه من قصد أبي تمام بهذا البيت ؟

وهل قرأ قوله :

هن عوادي يوسف وصواحبه
فعزماً فقدما أدرك النجح طالبه

وفكر في هذا الغموض ما مصدره ؟ وهل بني على أساس صحيح أم فاسد ؟

ومع هذا فإن أبا تمام لم يسلم من الملامة بسبب هذا الغموض الذي له وجه ، فكيف تريدنا على أن نرضى من شعرائنا الجدد غموضاً ما له وجه ؟ بل ولا عين !

(البقية في العدد القادم) محمد محمود رضوان

٥٥٤ — اعثار يرى ما تعثار وجوهكم

في (الكامل) : يروى عن الأصمعي أنه رأى رجلاً يختال في أُزَيْر[1] في يوم قُر في مشيته ، فقال له : ممن أنت يامغرور ؟ فقال أنا ابن الوحيد أمشي الخيزلى[2] ، ويدفئني حسبي . وقيل لآخر في هذه الحال : أما يوجعك البرد ؟ فقال : بلى (والله) ، ولكني أذكر حسبي فأدفأ . وأصوب منهما قول العريان الذي سئل في يوم قر عما يجد ، فقال : ما على منه كبير مئونة ، فقيل : وكيف ؟ فقال : دام لي العرى فاعتاد بدني ما تعتاد وجوهكم .

٥٥٥ — إذا تكسر انصرف

كان الزمخشري في جوف الكعبة مشغولاً بتأليف الكشاف ، فجاء الإمام عمر النسفي ، وقرع باب الكعبة . فقال الزمخشري : من على الباب ؟ فقال النسفي : أنا عمر

فقال الزمخشري : إذا تُكُسِّرَ صُرف

٥٥٦ — فلسنا نتكلم لوجه الله خالصا

قال أبو حيان التوحيدي : سمعت الشيخ أبا حامد (الأسفرايني) يقول لطاهر العبادائي : لا تعلق كثيراً لما تسمع مني في مجالس الجدل ، فإن الكلام يجري فيها على خَتْل الخصم ومغالطته ودفعه ومغالبته ، فلسنا نتكلم لوجه الله خالصاً ، ولو أردنا ذلك لكان خطونا إلى الصمت أسرع من تطاولنا في الكلام ، وإن كنا في كثير من هذا نبوء بغضب الله (تعالى) فأنا مع ذلك نطمع في سعة رحمة الله[3]

---

(١) أزبر مصغر أزار

(٢) هو يعني الخيزلى والخوزلى إذا تبختر (التاج) مشية فيها تثاقل وتراجع وتمكك (اللسان)

(٣) تاج الدين السبكي : هو طمع قريب فإن ما يقع من المغالطات والغالبات في مجالس النظر يحصل به من تعليم إقامة الحجة ونصر العلم وبعث الهمم على طلبه ما يعظم في نظر أهل الحق ، ويقل عنده قلة الخلوص ، وتعود بركة فائدته وانتشارها على عدم الخلوص ، فقرب من الاخلاص إن شاء الله

قرأ قارىء في مجلس الامام الاسفرايني : (الذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً) فقال أما العلو فقد أردناه ، وأما الفساد فما أردنا

من خريف الربيع

[إلى حمامة أبريل ! ...]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ذَهَبْتُ لِلرَّوْضِ فى صَباحِ
مُقيدِ اللَّحنِ ، والجناحِ
وفيــه ما فِىَّ من أغانٍ
مَطْلولةِ الشــدو بالجراحِ
أوتارُ أطياره سُــكارَى
يَعْزِفنَ وَجْدَ الحب نارا
سعيرُها خمــرةُ الحيارَى !
حَثَّتْ إليه الرُّؤَى خُطاها
وخلفها انسابت الدُّموعُ !
* * *
سِيَّانِ فِي قَبضةِ الرِّياحِ
شوكُ الجلاميدِ ، والأقاحي
فكم رحيقٍ بلا دِنانٍ !
وكم دنان بغــير راحِ !
وكم رَبيع لنا تَوارَى
تَوَدُّ لو كانت العــذارَى
لِسِحْره الغائب انتظارا
ماتتْ لياليهِ فى صِباها
فهل لأحلامها رُجــوعُ ؟ !
* * *
وكم خريف بلا زهــور
ولا أغانٍ ، ولا طيور
يلوحُ مُسْتَيْقظ الشُّعور
كأن بُؤساً عليــه سارا
مُتَيَّمَ الشُّــور مُستطارا
كِنشوة حَلَّتِ العِذارَا
ونغمة وقرقت شجاها
ومالها فى الرُّبى سميعُ !
* * *
رأيتُ عُشّا على خميــل
كهجة جَمَّــة الفَليل
رَيّان بالنوحِ والعَويل
هــديله فى الصباح طــارا
فضج للدوح واســتجارا
ناحَتْ بأشــواقه جِهارا
حمــامة مَزَّقَتْ حشاها
وخان أحلامَها الرَّبيع !
* * *
وأنَّ تحتَ الظلال جــدولْ
يجرى ... ولكنه مُكبَّلْ
نكاطــر فى دمى تَنقَّل
إن قلت : أقبِلْ ! أرى نِفارا
أو قلت : أبعِد ! دنا، مَزارا
كطائر فى الشِّباك ثارا
وأنَّة فى الحشا طــواها
سجن يُسمونه الضلوع !
* * *
حزينةٌ أنت يا ظــلالُ ؟
أم فيك نفسٌ بهــا ملالُ ؟
أحاطَنا الحبُّ والجمــالُ
وأنتِ مِثــلى كَتمتِ نارا
وتنفُضينَ الأسَى عِطارا
لبستِ من حَيْرَتى دثارا
ولُذتِ تَسكُبى تُريدُ فَاها
يبكى به قَلبهــا الصديعُ !
* * *
وأنتَ يَأيُّهــا الحزينُ !
يا شاعراً شَفَّه الحنينُ ...
ألْقَى مَزَامِيرَكَ الأنين
فى ظُلْمة لم تجــدْ نهارَا
فَــدَفَّ إنشادُها ودَارَا
كَغُرْبة ضــلَّت الدِّيارَا
فَطَنَبتْ فى الرُّبى أساها
والرَّوض من حولها خليعُ ! !

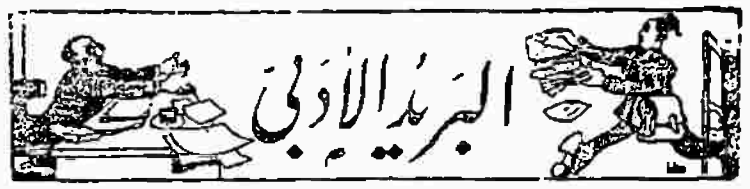

٨ — الشعر الجديد

أوضحت فى هذه الأحاديث آرائى فى «الشعر الجديد» مطلقة صريحة . وكانت قد تجمعت لدىّ من مطالعات طويلة . وكنت أهم أحياناً بتقييدها ، وأنساها أحياناً ، حتى كان أن فتح « الأستاذ الجليل » هذا الباب . فلمت شعث ما تفرّق منها فى ذاكرتى ، وجهرت بها مستهدفاً وحدى لغضب الغاضبين ؛ فإن رجلة النقاد قد آثروا العزلة ، واعتصموا بالسكوت ، لما قدمت فى كلمتى الأولى . ولقد وددت لو كنت قد خرجت من الإجمال إلى التفصيل ؛ ولكنى جانبت الأشخاص ، لما أسلفت ، وعمدت إلى « المدرسة » — كما يعبر الآن — وهى تجمع ما تفرق من خصائصهم ، وتضم شتات مميزاتهم

ولا شك عندى أن الذين تتبعوا كلماتى وتأملوها فى إنصاف وعدل ، قد أدركوا أى صنف أعنى من الشعراء ، وأى نوع تنتظم هذه الصفات التى عنيت ببسطها ، وجهدت فى تحديدها — فلا يغالطن مغالط بعد هذا — أنى أعنى فلاناً أو فلاناً من شعرائنا ذوى المكانة فينا ، أولئك الذين أجمعنا على تمجيدهم ، لا الذين يتلمسون شهرتهم بين فئة قليلة من المعجبين

والآن آنَ أن أتحدث إلى الكاتب الفاضل الأستاذ دريني خشبة فى بعض نقداته ، كما وعدت أن أفعل .

قال الأستاذ[1] : « لقد أنكر الأستاذ جميع الشعر العربى بعد البارودى وشوقى وحافظ . . . وأشفق من الشعراء الشيوخ الأجلاء الذين لا يزالون على قيد الحياة ، والذين يعتز بهم الشعر العربى . . . الخ »

أقول : يشير الأستاذ الى مقالى بالرسالة[2] . فقد قصرته على هؤلاء العصبة الأمجاد ، وضممت إليهم صبريا — وإن كان كثير غيرى لا يذكرونه فى حلبتهم — لأوجه من الشبه كثيرة بينه وبينهم . وقد رجعت إلى هذا المقال ، فإذا هو خلو من هذا الإنكار . ولعله توهمه من قولى : « فلما خلا الميدان من هؤلاء الفرسان ، ودالت أيامهم ، سدلت على المسرح الستارة . ثم عادت فارتفعت . فإذا مشهد عجب ، وإذا الحال غير الحال ، وإذا نحن أمام فوضى النظم والنظام ... الخ » فهذا يا سيدى لا يدل بمنطوقه ولا بمفهومه — فيما أدرك أنا — على أنه لم يكن بيننا إذ ذاك شعراء من الطبقة الأولى ، بدليل قولى : « فوضى النظم والنظام » ؛ فإن كلمة « النظام » إنما تطلق فى العرف العام على القارضين الذين ينظمون ولا يشعرون[1] ؛ فهذه الفوضى لا نعرفها فى أثناء حقبة شعرائنا هؤلاء . وإنما شاعت بعدهم هذا الشيوع الذى نلمسه الآن . أما قولى : « إن تلك الحقبة لا تعبر إلا عنهم وحدهم ، وإن نجم بينهم من يعترف لهم بالاقتدار رسمو الشاعرية » ، فدليل آخر يشهد لى . ومعنى كون تلك الحقبة لا تعبر إلا عنهم وحدهم ، أن لهم ميزات اشتركوا فيها جميعاً ، فأفردتهم بين شعراء جيلهم . فهم فصل قائم برأسه فى تاريخ الشعر الحديث . وهكذا يجب أن يكون فى تاريخ الأدب المصرى

على أنى مع ذلك عند عقيدتى الثابتة فيهم — وهى عقيدة جمهرة المتأدبين فى العالم العربى — تلك هى أنهم لا يزالون يتسنمون المكانة الأولى بين الشعراء لهذا العهد . والفلك الدوار قد يجود بأمثالهم وبأعظم منهم . فليرقب الفلك الدوار

وقال الأستاذ الفاضل : « أمن العدل أن يحدثنا عن قصيدة لم نرها ، لنحكم إن كان إنكاره منها ما أنكر حقاً ، أوليس من الحق فى شىء ؟ وهل من العدل أن يجحد شعراء الشباب عامة ، لأن تلك القصيدة لم ترقه ؟ »

أقول : ليرجع الأستاذ إلى مقالى الأول خاصة ، ومقالاتى بعد ذلك ، ليرى أبان أنا أحكامى جميعاً على تلك القصيدة وحدها ؟ وليراجع سيدى المقال الذى تعرضت فيه لهذه القصيدة ، ولينظر ما قلت هناك . وإذا كان الأستاذ يحكم هذا الحكم من غير أن يقرأ كلامى حق القراءة ، فما حيلتى ؟ وما حيلتى أيضاً أن يسيغ

(١) عدد ٥٦١ ص ٢٩٨ من الرسالة (٢) عدد ٥٥٩ ص ٢٠٨

(١) من الشعر

أن يكتب مثلي سبعة أحاديث مستنبطاً آراءه فيها من قصيدة واحدة ؟

وهل في كلامي ما يشير أو يدل على أني « أجحد شعراء الشباب عامة ؟ » لا يا سيدي . إني حكمت على فئة كبيرة تسنى لها — بعوامل مختلفة — أن تنشر شعرها بين ظهرانينا . وهو شعر هزيل في ألفاظه وتراكيبه ومعانيه . فليس معنى هذا ألا يكون من بين شعر هؤلاء الشباب ما يُستجاد أو يستملح . ولولا أني لزمت الصمت عن الأشخاص في هذه الأحاديث لمثلت

أما « نبش قبور الموتى » و « سرقة أكفان النائمين تحت التراب » ... الخ . فهذه ألفاظ معادة ، نسمعها دائماً في معرض الازدراء بالقديم أو التنفير منه . فنضرب عنها صفحاً

وقال الأستاذ أيضاً من مقال آخر[1]: (وخامسة الأثافي ، أو داهية الدواهي ، ما وقعت فيه من أسبوعين من الخطأ الشنيع فقد ذكرت في كلمتي . . . طائفة غير قليلة من الشعراء الشباب في مصر ، على أنهم بعض من يمثل شعرنا الحديث . وكان هذا الخطأ سبباً في إثارة بعض هؤلاء الشعراء أنفسهم ، فقد ساءهم أن تحشر أسماؤهم على هذا النحو الزري في ذلك الثبت الطويل من أسماء الشعراء) . ثم قال : (ولكن المضحك في هذا الأمر غلو بعض من تقموا مني ذكر أسمائهم في ثبت الشعراء هؤلاء ! لقد أقبل أحدهم ثائراً كالعاصفة ، ونكش شعر رأسه (نكشة) أفزعتني ، ولست أقول إلا الحق ! ثم راح يتهمني بأني أناقض نفسي حين أعلن استجادتي لشعر هؤلاء (الـ . . .) . ثم قال : (والظريف أن الذين أنكر عليهم صديق « العاصفة » شاعريتهم ، كانوا شعراء من الطبقة الأولى عند صديق آخر سعى إليّ ليعلن احتجاجه للسبب نفسه ... الخ .)

هذا ما رأينا اقتباسه ضرورياً من كلامه

فانظر إلى هؤلاء الشعراء كيف ينكر بعضهم شاعرية بعض على هذه الهيئة الغريبة !

وهل بعد تصوير الأستاذ دريني خشبة لهذا النظر البديع ، نحتاج إلى شرح أو تعليق ؟

« انتهى الحديث »

(ع . ا)

(١) عدد ٥٦٣ ص ٣٢٥

جائزة أدبية

في عدد المقتطف الصادر في شهر مايو نشر الشاعر بشر فارس قصيدة عنوانها « إلى زائرة »

قرأت القصيدة ، ثم قرأتها مرات ، ثم أعدت قراءتها في أوقات متفاوتة ، وكنت ، عقب كل قراءة ، أعود بالخيبة من عدم الفهم ؟ ! ولكن هل في أداة تفكيري عطب أو تلف ، وقد قرأت وفهمت أكثر ما نشر في ذلك العدد من المقتطف من بحوث في العلم والفلسفة والأدب ؟

يحسن بي إذن أن أشرك قراء الرسالة معي في قراءة هذه القصيدة وأتعهد بجائزة مالية قدرها خمسة جنيهات مصرية ، أدفعها إلى من يستطيع فهم معاني تلك القصيدة وشرحها ، ولا أستثني قراء العربية في سوريا ولبنان وفلسطين والحجاز والعراق ، وقد أودعت المبلغ في إدارة الرسالة . وهذه هي القصيدة :

الى زائرة

لو كنتِ ناصعة الجبين هيهات تنفضني الزياره
ما روعة اللفظ المبين ؟ السحر من وحي المباره

ظِلٌّ على وَهج الحنين رَسمتــــه معجزة الإشاره
خطٌّ تساقط ، كالحزين ، أرخى على العزم انكساره
ماذا بوجْد المحصَنين ؟ صوت شجٍ خلف الستاره

غيَّبتِ في العجب الدفين معنى براعتــــه البكاره
درًّا يفــــوت الناظمين ونهضت تهديني بحاره
خطوات وسواس رزين : وهبٌ تُعمِّيه الطهاره

« بشر فارس »

مهيب الزمهوري

حول مزايا الخط العربي

مما رزئت به هذه اللغة الكريمة بتأثير من ضعف حماتها ، أن أصبحت حسناتها سيئات تعتد عليها

ومن عيوبها عند الكثيرين أنها أهملت في خطها حروف الحركة مستعيضة عنها بالشكل الجزئي ، أو الشكل الكامل لمن لا يجيد القراءة ، وحجة من يفضلون الكتابة اللاتينية أنها برئت من هذا « العيب » الذي أورث كتابتنا اللبس والغموض

وإن من الطريف المضحك أن يكون صدى هذه الصيحة عندنا ، صيحة تقابلها هنالك ، ينادي فيها القوم بحذف حروف

الحركة من كتابتهم ضنًّا بالزمن والورق والمجهود

وإلى القارىء نص عبارة وردت بإحدى المجلات الأمريكية[1] عن هذا الموضوع

« لقد كتب الشيء الكثير حول النهجية المنقحة كوسيلة من وسائل التوفير فى المساحة . ومن المحتمل أن تكون هذه خطة جيدة ، على أنها ستكون أجود إذا نحن تقدمنا بها إلى مدى أكثر ، باتخاذ نهج من الاختزال يتوفر به نحو أربعين فى المائة من مساحة المكتوب . ولن يكون هذا شاقاً إلى الحد الذى تعتقد ، لأنك تستطيع بلا شك أن تتلو هذه العبارة . أليس كذلك ؟ » وكتبت المجلة العبارة على هذا النسق من الهجاء :

"Mch hs bn wrttn abt rfrmed spllng as a savr of spc. Possbly ths wld b a gd pln. Bt it wld b a bttr pln if it wer carrd frthr ..."

وهذا نص الجزء الأول مما ترجمناه ؛ وإذا نحن أعدنا كتابته على الوضع الذى يكتب به فى الإنجليزية اليوم ، جاء هكذا :

Much has been written about reformed spelling as a saver of space. Possibly this would be a good plan. But it would be a better plan if it were carried farther

ويرى القارىء مبلغ الاقتصاد فى الطريقة الأولى ؛ ويتضح من الإشارة باستعمالها أن القوم قد بدأوا يتلمسون أسلوباً فى النهجية كأسلوبنا ، يحذفون منه حروف الحركة . أفلا يحق لنا بعد كل هذا أن نستمسك بما نحن عليه ، وندع القوم وكتابتهم يبقون عليها أو يصلحونها . وحسبنا من شر سماعه ؟

(جرجا) محمود عزت عرفة

شعر ناجى

فى العدد السابق كلام عن شعر ناجى هو صدى لذلك التطاحن القديم الذى لا نؤثر له أن تشب ناره بعد أن خمدت بين الشعراء والشعراء وبين الشعراء والنقاد وبين النقاد والنقاد ... وأبغض شيء إلىّ أن أكون من موقدى تلك النار أو أن أتسبب فى إيقادها ... ورجائى أن يتقى الله الذين يحاولون ـ قاصدين أو غير قاصدين ـ إيقاد تلك الفتنة من جديد ، لأنها تضر الأدب ولا تنفعه ، فرب نقد أو اتهام لا يعدو أن يكون تجنياً ، يقضى به الناقد أو المتهم على روح الأديب ... أما الاتهام بالسرقة فى مثل تلك السهولة وفى مثل ذلك اليسر فهو من الظلم الصارخ الذى يحسن أن نجنب أنفسنا الوقوع فيه ... وقد تفضل أحد الأدباء فى العدد الأسبق ، فرد أحد أبيات ناجى التى راقتنا حتى عدلناها بألف بيت من جيد الشعر إلى الشاعر صُرَّدر حيث يقول :

ناضلتنا بنوافـــذ مسمومة ووددت لو قَبَّلت سهم الرامى

وبيت ناجى هو :

ومن عجب أحنو على السهم غائراً ويسألنى قلبي متى يرجع الرامى !

ولو ألقى الأديب الفاضل باله إلى أن لحاظ الحبيب لا يحسن بل لا ينبغي أن توصف بأنها مسمومة (!) لأن السم والعياذ بالله لا يكون إلا فى رؤوس الأفاعى وأذناب العقارب واليعاسيب والزنابير والنمل ، لفطن إلى ناحية الضعف فى بيت صردر

ولو أراد الأديب الفاضل أبياتاً أقرب إلى بيت ناجى ، وهو مع ذلك يفضلها جميعاً ، لوضعنا بين يديه الأبيات الآتية :

لابن الرومى :

فيسبيك بالسحر الذى فى جفونه ويصيبك بالسحر الذى هو نافثه
يحن إليه القلب وهو سقامه ويألف ذكراه الحشي وهو فارثه

وللبحترى :

أين التى كانت لواحظ طرفها يصبو إليها القلب وهى سهام
إن مت من أسف لشط مزارها فالموت روح والحياة حمام

وللسرى الرفّاء :

بنفسى من أجود له بنفسى ويبخل بالتحية والسلام
وحتفى كامن فى مقلتيه كمون الموت فى حد الحسام

وله أيضاً :

وقد فوقن بالألحاظ نبلاً قلوب العاشقين لها رمايا
تمنينا اللقاء فكان حتفا وكم أمنيـة جلبت منايا

وكنا قد أعددنا مائة بيت أو تزيد كلها تدور حول معنى بيت ناجى فإن أحب الأديب الفاضل أرسلناها إليه .. وسيفضل معنا بيت ناجى عليها جميعاً ، لأن ناجياً فى غنى عن أن يسرق من أحد ، لأنه يصور بروحه ودمه ، وله ثقافة وحسن اطلاع يغنيانه عن صردر القديم وصُرَرَ دُرَرَ العصر الحديث . وقد آن لنا أن نعدل .

(م . غ)

(١) الريدرز دايجست نقلا عن « تايم » ، نقلا عن : دالاس نيوز الأمريكية Dallas News